

الإمام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

لفصيلة الشيخ

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

النُسخة الإلكترونية (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القائل في محكم كتابه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ [الذاريات]، والقائل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، والقائل: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، والقائل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله، نشهد لأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، حتى تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها يزيغ عنها بعده ﷺ إلا هالك.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كلما صلى عليه المصلون، وصلَّ اللَّهُمَّ عليه كلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون، وسلِّم اللَّهُمَّ عليهم تسليما مزيدا.

أما بعد:

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم وإخواننا المؤمنين ممن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، وهؤلاء الثلاث هنّ عنوان السعادة لمن وفقه الله جل وعلا إليها.

ثم إني في فاتحة هذه السلسلة من المحاضرات التي تفضل باقتراحها أخي الشيخ أحمد بن نافع المرعي، ودعاني إلى إلقاء هذه المحاضرة الخاصة بإمام الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب؛ لأنه من أهل مكة وأهل مكة يقولون أهل مكة أدرى بشعابها، كما أني أشكر للأخ العزيز الشيخ عبد الرحمن الفقيه مكالمته ودعوته الكريمة وترحيبه بي في هذه المحاضرة، وأشكر إخواني في مركز الدعوة والإرشاد وفرع الوزارة في هذه المنطقة على عنايتهم بالمحاضرات وبالدعوة والإرشاد وبكل ما فيه تقريب للناس إلى ما يحبه الله جل وعلا ويرضاه.

ولاشك أن الدعوة إلى الله جل وعلا والإرشاد هي مهمة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه، وهي مهمة من أحبّ رسولنا محمدا ﷺ؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ [يوسف].

الحديث عن أئمة الإسلام الذين أثروا في الأمة بالدعوة إلى التمسك لما كان عليه السلف الصالح، ودعوا إلى ذلك وألفوا وجاهدوا وأرشدوا، الحديث عن هؤلاء مهم في هذا الزمن؛ لأن تقديم النماذج الحية من أهل العلم والدين ممن أثر ودعا وعلم وصبر حتى كان بدعوته الأثر البالغ في هذه الأمة، إن الحديث عن سير العلماء والأئمة يؤثر في النفوس من جهات عديدة:

أولا يؤثر في أن يعلم أنه ليس التمسك بالإسلام والدعوة إليه والجهاد في سبيله إنما هو شيء اختصه الله جل وعلا بالرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ؛ بل إن دين الله جل وعلا كما خاطب الله به

الأولين فقد خطب به المتوسطين والآخرين، فدين الله واحد والناس مخاطبون به في كل زمان ومكان، وفي كل زمان جعل الله جل وعلا من أهل العلم والدين من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، كما جاء في السنن بإسناد قوي أن النبي ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس مائة سنة من يجدد لها أمر دينها».

وهذا أيضا مهم ليعلم كل أحد أن هذه الأمة لا بد أن تبقى فيها طائفة ظاهرة على الحق قائمة به لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، فائمة الإسلام وأعلام الدين منهم من بلغ وأدى الأمانة ونصح وجاهد؛ لكن لم يظفر بأن رأى نتيجة دعوته أو أن يكون له التمكين، ومنهم من دعا ومكّن الله له.

وإذا تأمل المرء ذلك فإنه ينظر إلى أن ظهور هذه الطائفة في الأمة بما وعد به رسول الله ﷺ لا بد حاصل بوعد الله الكريم قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الحديث المتفق على صحته: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» وفي رواية «حتى تقوم الساعة» وهؤلاء ظاهرون بالعلم واللسان والبيان، وظاهرون تارة بالسيف والسنان.

ولا بد أن تكون هذه الطائفة موجودة في الأرض، ولا بد أن يكون نصيبها الظهور دائما بالبيان والحجة واللسان وربما كان بالسنان والجهد في سبيل الله جهاد اليد.

ولهذا إن تقديم سير أئمة السلف الصالح وأئمة دعوة الإسلام؛ إن تقديم هذه السير ينعش النفوس ويصل الشباب الحاضر بأئمتهم الماضين، حتى يعلموا أن العلم لا ينال براحة الأجسام، وأن التأثير والدعوة ليست كلمة تقال، وإنما لا بد فيها من العلم والعمل كما أمر الله جل وعلا نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، وقال لنبيه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه]، فالعلم والعمل بهما الصلاح وبهما الفلاح للحاضر من عباد الله وللمن نستقبل من الناس؛ لأنه لا بد أن يكون للعلم والعمل الأثر في الحياة.

لهذا جاء اختيار هذه السلسلة مبتدأة بـ:

الإمام المصلح المجدد هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي المشرقي التميمي.
وسيرته معروفة لدى الأكثرين، ولن نتطرق إلى تفاصيل سيرته بحيث نتطرق إلى ما كان عليه في أول حياته، وما كان في طلبه للعلم وسيرته بالتفصيل إلى وفاته، هذه شأنها في المؤلفات الكثيرة التي ألفت عنه رَحِمَهُ اللهُ تعالى؛ ولكن نأخذ نبذة من سيرته وحياته ثم نتطرق إلى أثر حياته ودعوته وما تميزت به في الناس وما أثرت به في ذلك الزمن وفي حاضرنا الذي نعيشه.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد سنة ١١١٥ من الهجرة وتوفي سنة ١٢٠٦ لهجرة النبي ﷺ.

وكانت حياته تلك منذ العقد الأول من عمره -منذ العشر سنين الأولى- وهي في العلم والعمل إلى أن توفاه الله جل وعلا، فقد حفظ القرآن صغيراً وأمّ بالناس حفظاً بالقرآن وهو لم يبلغ سن الخامسة عشرة، وحج بين الله الحرام بعد أن احتلم وهو دون الخامسة عشر؛ يعني في نحو الثالثة عشر لأنه ولد

سنة خمسة عشرة ومائة وألف وحج سنة سبع وعشرين ومائة وألف.

وهذه الحصيلة المبكرة من حفظ القرآن والرغبة في الحج مع بعد المسافات إذ ذاك وتعب الراحل إلى مكة المكرمة، لاشك أنها تنبئ عن قوة علمية وقوة في العمل ورغبة في عبادة الله تعالى منذ ذلك السن المبكر.

رعاه والده أحسن رعاية، وكان له عدة رحلات أولها إلى حج بيت الله الحرام، فحج البيت ومكث في مكة مدة، ثم ذهب إلى المدينة ثم رجع إلى العيينة إلى نجد.

وبعد ذلك حج مرة أخرى نحو ١١٣٥ هـ يعني وهو في عشرين سنة، وكانت هذه الرحلة الثانية رحلة قصد فيها بعد أداء العبادة أن يتصل بعلماء الحرمين علماء مكة وعلماء المدينة ليأخذ عنهم العلم، كما قال طائفة ممن ترجموا له: إنه بعد رحلته الأولى وقع في نفسه أن يأخذ من علماء مكة وعلماء المدينة وعلماء الشام، فرحل رحلته الثانية -هذه- واتصل بعدد من العلماء في مكة والمدينة ولازمهم طويلاً، وكان من أبرز من لازم في تلك الفترة الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف من أهالي نجد؛ ولكنه سكن المدينة، ومنهم الشيخ محمد حياة السندي في المدينة، وممن أجازاه في حجته الأولى مسند مكة وعالمها الذي جمع «مسند الإمام أحمد» بعد تفرقه الشيخ العالم عبد الله بن سالم البصري فأجازاه بـ «كتاب القراء لقاصد أم القرى» ويروى من طريق عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن أبيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وهذه الإجازة نازع فيها بعضهم، ومنهم وهم الأكثر من أثبتها، وتحقيقها محل نظر؛ لكنه معروف في الإجازات أنه أخذ ذلك عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري، كما أثبت ذلك الكتاني في فهرس الفهارس والأثبت نقلاً عن الشيخ محمد حياة السندي.

ثم بعد ذلك رحل إلى البصرة عدة مرات، رحل إلى البصرة ورجع إلى الأحساء وأخذ عن علمائها، ورحل إلى البصرة وأخذ عن عدد من علمائها، وكانت له في هذه الرحلات العلمية مواقف مع العلماء الذين أخذ عنهم ودرس عليهم؛ حيث إنه كان بعد حفظه للقرآن في صغره كان مهتماً بتفسير القرآن العظيم، ولذلك أثر في دعوته وفي أسلوبه وفي كلامه في التوحيد بإمام المفسرين محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، حيث إن الإمام محمد بن جرير الطبري من أوائل العلماء الذين تكلموا بتفصيل فيما كان عليه أهل الجاهلية في أنواع عباداتهم وعبادة الأوثان والأصنام والفرق بينها وعبادة الآلهة المختلفة، وتقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وألوهية وإلى توحيد الأسماء والصفات.

تأثر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كثيراً بمدرسة الإمام محمد بن جرير في التفسير، فأخذ بالتفسير المأثور مع ما قرره الإمام محمد بن جرير في ذلك مبكراً.

ثم إنه حصل كثيراً بعد ذلك من كتب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وتلميذه العلامة شمس الدين بن

القيم، وأخذ واستفاد منها كثيرا.

وقرأ كتب الحديث وأجيز في كثير منها، وكان ما وصفه ابن بدران في «المدخل» قد ملأ وصابه من السنة والحديث وشروحه وعلم الفقه على منهج الإمام المبجل أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. وهذه السيرة المبكرة بالأخذ عن العلماء والشغف في العلم والحفظ والتدوين واقتناء الكتب ومعرفة ذلك، لم تكن بعيدة عن النظر في واقع الناس إذ ذاك وما هم عليه من أنواع المخالفات الشرعية، فكان يُنكر في نفسه وربما حاور أباه الشيخ عبد الوهاب قاضي العيينة وقاضي حريملة، ربما حاور أباه في بعض ما يصنعه الجهلة في نجد من عبادة بعض الأشجار واعتقاد فيها أو بعض الغيران في بعض الجبال أو الاعتقاد في بعض الموتى والأولياء أن لهم تصرفات في ملكوت الله جل وعلا. وامتلاً ذلك في نفسه، حتى أتى وزار بلاد الحرمين وحاور عددا من المشايخ في بعض ما يراه، وكلهم أوضح له ما هو الصواب في أنه ما يفعله الجهال في الاعتقاد في بعض الأماكن الأثرية أو بعض الأشجار أو بعض القبور أو نحو ذلك أنه ليس موافقا للسنة؛ بل هو من الشرك المحقق كما قاله له عدد من علماء مكة والمدينة.

ورحلة الشيخ إلى البصرة أخذ فيها عن عدد من العلماء، وهذه السيرة المبكرة قوي فيها جانبه في العلم وتحصيل الكتب والنظر فيما عليه المسلمون في عدد من أماكن العالم الإسلامي، وغلط من قال عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ رحل إلى الشام أو رحل إلى بغداد أو إلى الموصل؛ بل هو لم يتعد البصرة، كان ينوي أن يذهب من البصرة إلى الشام، وكان ينوي أن يذهب من المدينة إلى الشام؛ ولكن وقعت له حوادث وابتلاء وضرب من بعض قطاع الطرق ما منعه من إكمال المسير في ذلك. اتصل بالعلماء في الأحساء وفي نجد وأخذ ما عندهم، وعرف حتى تمكن من معرفة الأمرين المهمين؛ وهما:

- معرفة العلم الشرعي والنصوص ووجه الاستدلال منها.
- ومعرفة ما عليه الناس وتطبيق النصوص على واقع الناس.

وهذه مسألة يحتاج إليها العلماء دائما في أنهم يطبقون النصوص على ما عليه حال الناس، ومن الناس ومن أهل العلم من يظن أن يأخذ العلم على أنه أداة، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ لم يأخذ العلم على أنه صناعة وأداة وتعليم وتأليف، وإنما أخذه على أنه يأخذ ما تعلم في أنه يدعو إليه ويجهر بتلك الدعوة ويجاهد في الله حق جهاده بقدر ما أعطاه الله جل وعلا وأتاه.

لهذا تميز مبكرا بأنه كان يدعو وينظر ويبحث في تلك المظاهر الشركية والمظاهر البدعية التي كانت في زمنه في بلده وفي غيرها من البلاد، والعلماء وافقوه كما ذكر في رسالة له قال: وعرضت ما عندي على عدد من علماء مكة والمدينة والأحساء والأمصار وعلماء نجد والأمصار فوافقوني على ما ذكرته في

التوحيد. وهذا صحيح؛ لأنه أكثر العلماء في ذلك الزمن؛ بل وما قبله يتفقون على معنى التوحيد إجمالاً وعلى بعض التفصيلات فيه، وكذلك على إنكار الشرك وعلى بعض أفراد الشرك، ولهذا كان لما نظر فيه من الأدلة وفي الواقع له الأثر في أن تتمحض دعوته رَحِمَهُ اللهُ تعالى إلى التوحيد الخالص والنهي عن الشرك بالله جل جلاله.

مكث يقرأ ويتعلم إلى أن توفي والده الشيخ عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تعالى، ولما توفي كان الشيخ قد أصبح يافعا وقويا، وأصبح يعلن بعض ما عنده من الفهم لنصوص الكتاب والسنة والإنكار للمنكرات التي في زمنه، وهذا كان في حريملة أولا وفي العيينة ثم في بعض البلاد من القرى التي حولها الجبيلة ونحوها، حتى صار -يعني في مجال التاريخ- حتى صار لقاؤه بأمير الدرعية محمد بن سعود بن مِقْرَن سنة ١١٥٧ وعنه تكونت الدولة السعودية بعد ذلك العهد.

في الفترة الأولى تلك للشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكن في تلك الفترة الأولى قبل بدأ الدولة لم يكن مقتصرًا في تلك الفترة على تعلمه؛ بل كان يجمع ما بين العلم وما بين الدعوة وما بين الإنكار وكتابة الرسائل، وكان لطيفا للغاية فيما ينكر فيه وفيما ينصح به؛ حتى إنه كان يأتي إلى من هم عند قبة الصحابي الجليل زيد بن الخطاب الذي قُتل في بلد تسمى الجبيلة قريبة من الرياض قريبة منها في وقعة اليمامة المعروفة، وكانوا يأتي الجهال كما في عدد من بلاد العالم الإسلامي يعتقدون في ذلك الصحابي ويطلبون منه أشياء لا تجوز أن تطلب إلا من الله جل وعلا مثل شفاء المرض ومثل فتح الخيرات وترك أو دفع الشرور عن الإنسان ونحو ذلك، فكان يأتيهم بالقرب من القبر فإذا سمعهم يقولون: يا زيد بن الخطاب افعل كذا أو أعطنا أو اشف مرضانا أو زوج بنتنا أو اشف لنا في كذا. كان يقول لهم بعبارة هادئة: الله خير من زيد، وكرر ذلك أشهرًا كثيرة، الله خير من زيد، الله خير من زيد، يرشدهم إلى أن التوجه إلى الله وحده، لاشك أنه هو المأمور به وهو المطلب في ذلك، حتى قوي واقتنع به أمير البلدة فأمره بأن تهدم تلك القبة وكانت تلك من أول مظاهر دعوته إلى التوحيد ونهيه عن الشرك، فخشي أهل البلد أن يفعلوا ذلك وخشي الأمير أن يفعل شيئًا بقبة الصحابي الجليل زيد بن الخطاب لما يعتقدون فيه من السر والولاية ونحو ذلك، حتى قال له الشيخ محمد رَحِمَهُ اللهُ: أنا أبدأ بذلك فأخذ يهدم القبة فلما رأوه لم يصبه شيء أقدم الناس على هدمها.

في قرى متجاورة انتشر الخبر حتى صار هناك أرضية صالحة لهذه الدعوة، بحيث سمع بها أكثر القرى بالدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك، ثم بعد ذلك حصل في قصة معروفة وطرد العيينة بسبب سياسي طرد من العيينة إلى الدرعية، ثم نصر دعوته الإمام المجاهد محمد بن سعود رَحِمَهُ اللهُ تعالى، وتكونت الدولة السعودية الأولى التي كانت ممثلة بحق لما كان يذهب إليه الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

إذا تأملنا هذه السيرة الوجيزة، فمرحلة الدعوة والدولة يمكن أن نبين شيئاً من ملامح الدعوة - دعوة الإمام المصلح - في الفترة الأولى؛ ولكن في الفترة الثانية ظهرت بوضوح حتى سمع بها القاضي والداني. أول ما تميّزت به الدعوة؛ بل هو لبّها وروحها أنها دعوة إلى توحيد الله جل وعلا في ربوبيته وإلهيته وفي أسمائه وصفاته، وكان أكثر ما يقع فيه الناس إذ ذاك سواء في نجد أو في الحرمين أو في عدد من بلاد المسلمين في الجزيرة أو في غيرها أكثر ما يقع فيه من أنواع الشرك المختلفة سواء أكان الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر جهلاً منهم ولأجل عدم وجود ما يناسبهم في تلك الأزمان أو من يجهر بالتنبيه لهم والإغلاظ عليهم في ذلك.

فقام رَحِمَهُ اللهُ تعالى بالدعوة إلى تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وألّف فيها عدداً من الكتب المختلفة التي هي سهلة في عبارتها؛ ولكنها موضحة لمقصود تلك الدعوة كـ «كتاب التوحيد» الذي هو حق الله على العبيد، وكـ «كتاب ثلاثة الأصول»، و «كتاب كشف الشبهات»، و «القواعد الأربع»، ونحو ذلك من الكتب والرسائل التي تبين هذا الأصل العظيم.

الدعوة إلى التوحيد بأنواعه الثلاثة كانت سمة لما دعا إليه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى، وركز على توحيد العبادة بأن لا يُعبد إلا الله جل وعلا، فبهِ الناس إلى أن أنواع الشرك الذي يقع وقع فيها الجاهليون في زمن النبي ﷺ، أنها يمكن أن تتكرر ويقع فيها الناس بعد ذلك، فكان الناس يعتقدون في نجد؛ يعني في بعض البلاد يعتقدون في بعض الأشجار وفي بعض الأحجار وفي بعض الجبال وفي بعض الآثار ويتمسحون بها، ويقولون: هذه البقع حل فيها الرجل الصالح، مات فيها رجل الصالح، وهذه فيها الولي، وهذا قبر فلان ونحو ذلك وتعلقت القلوب تعلقاً خفياً بهؤلاء الأولياء بتلك البقع والأماكن.

فأعلن دعوته بأن حق الله جل وعلا أن تجعل العبادة فيه وحده ﷻ، فهو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين استحقاقاً، وهو الذي يستحق العبادة ﷻ، وبين لهم معنى العبادة وأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، فكما أنه لا يقول أحد بأنك تصلي للولي فلان أو تصلي للنبي عليه الصلاة والسلام وتجعل صلاتك له وليست لله، فكذلك الدعاء؛ فإنما يدعى الله وحده لا شريك له فكأنما الصلاة لا تقبل إلا بمفتاح وهو الطهارة، وكذلك العبادة لا تقبل إلا بمفتاح وهو التوحيد والإخلاص، فإذا أوقع العبد شكل الصلاة وهو لم يتطهر قال الناس: هو قد صلى؛ ولكنه عند الله جل وعلا لم يصل لأنه لا تقبل الصلاة إلا بطهور، وكذلك أنواع العبادة يتعبد ولكنه ليس بمخلص - يعني ليس بموحد لله جل وعلا بالعبادة -، فإذا لم يأت بمفتاح قبول العبادة الذي أمر الله جل وعلا به في قوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] وقال الله جل وعلا لنبيه: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ [١٤] [الزمر] وقال لنبيه أيضاً: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ يعني تنزيهاً لله وتعظيماً ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٠٨] [يوسف].

فدعا إلى توحيد العبادة وجهر بذلك وأغلظ أنه إذا قدر على أي مكان يُتوجه فيه إلى غير الله جل وعلا فإنه يهدم ذلك المكان إنكاراً للمنكر وتحقيقاً لما يحبه الله ويرضاه وإفراداً لله جل وعلا بالعبادة. فكسر عدداً من الأشجار، وهدم عدداً من القباب على القبور ونحو ذلك لأجل أن لا تعلق الجهاد بها.

كان رَحِمَهُ اللهُ بدعوته إلى التوحيد -توحيد العبادة- يجعل توحيد العبادة هو الأصل؛ لأنه من وَّحد الله في العبادة فقد وحد الله في الربوبية؛ يعني من عبد الله وحده دونما سواه، لم يتجه إلى أحد للعبادة لم يستغيث لغير الله، ولم يتوكل على غير الله ولم يخف خوف السر من غير الله، ولم يعتقد اعتقاد السر في بعض الأولياء والأنبياء، فإنه في داخله مقر بأن الله وحده هو ربه، بخلاف غلاة المتصوفة في ذلك الزمان إلى زماننا هذا، فإن منهم من كان يعتقد أن الأرض فَوْضُ الله جل وعلا أمرها إلى أربعة من الأولياء أو إلى سبعة من الأولياء أو في بعض البلاد إلى أربعين من الأبدال يصرفونها كيف يشاءون فتوجه الناس إلى هؤلاء الأقطاب أو كما يسمونه الغوث أو نحو ذلك في اعتقادات طهر الله جل وعلا منها هذه البلاد بفضل الله جل وعلا أولاً ثم بفضل قيام الدولة هذه الدولة بحقوق التوحيد ثانياً.

ثم دعا إلى توحيد الأسماء والصفات، وهذا يدخل في أركان الإيمان -الإيمان بالله- وكان رَحِمَهُ اللهُ يحاور، فمن صفاته العامة أنه كان يحاور ولم يكن متصفاً بالحكم على الناس دون محاورتهم، فمرة بلغه عن أحد من علماء الأحساء أنه -وهو عبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي- أنه كان ينكر بعض ما قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته، فكتب إليه رسالة موجودة طويلة فيها فوائد كثيرة موجودة في «الرسائل والمسائل»؛ موجودة في «الدرر السنية» وفي «تاريخ ابن غنام» وغيرها، بحث معه وأجاب على عدة مباحث وأسئلة.

قال له في آخر رسالته: وإني لما زرتك في الأحساء رأيتك كتبت على أول كتاب البخاري فيما قرره من أن الإيمان قول وعمل رأيتك كتبت عليه في هامش كتابك هذا هو الحق، وسرني هذا منك جداً؛ لأجل مخالفته للعلماء الذين أخذت عنهم.

لأن الأشعرية في ذلك الوقت في الأحساء وكانوا لا يقولون بهذا الأصل؛ لأنهم من المرجئة وهو سرّه أن هذا يخالف؛ لأن هذا دليل يبحث عن الحق، وما دام علق على أحاديث النبي ﷺ التي تدل على أن الإيمان قول وعمل؛ لأن هذا هو الحق دل على رغبته في الخير قال بعد وهذه من الأشياء المهمة التي ينبغي لطلاب العلم والدعاة أن يتبهاوا لها، وقال له في ذلك: وإني لأدعو -مع أنه خالفه وانتقده في أشياء- قال له: وإني لأدعو لك في صلاتي، وأسأل الله لك أن يجعلك فاروقاً لهذه الأمة في آخر هذا الزمان، كما جعل الله عمر بن الخطاب فاروقاً لهذه الأمة في أولها.

وهذا لين وتواضع ومحبة.

وكل داعية إلى الله جل وعلا إذا كانت دعوته مع اللين والمحبة والرغبة في نفع الخلق وعدم التعالي عليهم فإن هذا ينفع كثيرا؛ برسالة حسنة الأسلوب وبكلام طيب فإنه ينفع، ثم إذا لم يكن إلا الإيذاء والعناد فإن حق الله جل وعلا أعظم من حق المخلوق كما هو معلوم.

وكانت له مراسلات كثيرة في تقرير هذا الأصل -وهو توحيد الله جل وعلا- وله كتابات في ذلك متنوعة.

من الأصول العامة التي ركّز عليها ودعا إليها العقيدة العامة في الدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره على ما كان عليه السلف الصالح؛ لأنه كان في زمنه في الجزيرة كلّها كان هناك عدة مذاهب كثيرة في مسائل الاعتقاد، وكان مذهب السلف لا يكاد يُذكر فيها، وإنما كان الأكثرون على مذاهب المتكلمين، مذهب الأشعرية أو الماتريدية أو الزيدية أو نحوها من المذاهب.

فقرر الإمام رحمه الله تعالى مذهب السلف الصالح ودلنا عليه وناظر في ذلك؛ حتى انتشر ورأى الناس في زمنه من العلماء ومن طلبة العلم، رأوا في مذهب السلف الصالح البساطة والوضوح وأنه النقاء الذي لا يُدخل طالب علم العقيدة لا في مباحث كلامية ولا في مناظرات لاهوتية -كما يقال- أو تدخل فلسفة غير محمودة، فدعا إليها ببساطة وقال: إن الأصل الشرعي أن لا نتجاوز القرآن والحديث، فما جاء في كتاب الله قلنا به، وما جاء في سنة رسول الله ﷺ قلنا به، وما عدا ذلك فإنه يُعرض على الكتاب والسنة، فإن كان فيها فإن الحق قبوله، وإن كان ما قيل بعد ذلك ليس فيهما فإن الحق رده؛ لأن النبي ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قالوا: من هي يا رسول الله قال «هي الجماعة» وفي لفظ قال «هي من كان على مثل ما أنا عليه واليوم وأصحابي»، وهذا يدل على أن الأمة ستفترق، وإذا كانت الأمة ستفترق بخبر النبي ﷺ الصادق وقوله: «كلها في النار إلا واحدة» كلها في النار؛ يعني وعيد لها وليس معناه أنها مخلدة في النار ولكن متوعدة على بدعتها وعلى انحرافها بالنار؛ لأن الفرق الخارجة عن الإسلام لا تدخل في الثنتين وسبعين هذه ولما قال: «كلها في النار» وجب أن يُرجع إلى الحق وجب أن يُرجع إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ونحن نعلم يقينا بأنه في مباحث الاعتقاد في مسائل الإيمان والغيبات أو الأسماء والصفات بعدم الأخذ بتأويل الغيبات ولا الأسماء والصفات ولا الميزان ولا أخبار الجنة والنار ولا ما يتصل بذلك وبالقدر إلى آخره.. كل ما هو من سبيل الغيب مما هو لا ندركه إلا بخبر الله جل جلاله أو خبر الرسول ﷺ فإنه لا مجال لنا إلا التسليم بخبر الله جل وعلا وخبر رسوله ﷺ. وإذا كان كذلك فإنه وجب على الجميع أن يستسلموا للنص.

وهذه البساطة في العقيدة هي التي كان عليها السلف الصالح، ولهذا كان من كلام والد الإمام الحرمين

الجويني في رسالة له قال: لما تأملت الأقوال المختلفة - في الصفات وفي العقيدة ومذهب الأشعرية وغيره من المذاهب التي كانت في زمنه - لما تأملت ذلك ونظرت فيما كان النبي ﷺ عليه وجدت أنه كان يتلو القرآن ويُخبر بحديثه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما يتصل بالغيبيات وفي الخبر عن الله جل وعلا وصفاته وأسمائه وكان يحضر مجلسه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - هذا الكلام العالم والد إمام الحرمين في رسالته المعروفة - قال: كان يحضر مجلسه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الأعرابي ومن هو من الحضر، وكان يحضره الذكي وكان يحضره غير الذكي، وكان يحضره العالم وكان حضره غير العالم، وكان يحضره القوي الملكة والإدراك ويحضره أيضا غير قوي الملكة والإدراك، ومع ذلك كان يخاطبهم خطابا واحدا بالكتاب والسنة ولم يأت في مرة من المرات أن قال ليس معنى هذه الآية هو كذا وإنما معناها على خالف ظاهرها؛ يعني في نصوص الغيبيات، ولم يقل لهم مرة: إن الاستواء ليس معناه كذا وإن العلو هو علو القهر وليس علو القدر، وإن السمع أو إن القوة أو الرحمة تفسر بكذا والغضب يفسر بكذا، مما هو خلاف ظاهره؛ بل أطلق ذلك ولم يعقبه ببيان فدل بيقين - على مقتضى كلامه - أنه أراد ظاهر ما دلت عليه النصوص.

وهذا البساطة بحيث إنه يمكن أن تلقن العقيدة للصغير ولل كبير بسهولة بدون الدخول في تفصيلات كلامية وتفصيلات كبيرة.

وهذا هو الذي دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ فِي تَأْسِيسِ عَقَائِدِ السَّلَفِ إجمالاً وتفصيلاً، في مسائل الصفات وفي مسائل الغيبيات الملائكة والكتب والرسول، وفي مسائل الإيمان وأنه قول وعمل واعتقاد خلافاً لمذاهب المرجئة في أن الإيمان قول أو أنه قول واعتقاد أو أنه اعتقاد فقط على اختلاف مذاهبهم في ذلك، أو الكلام في الجبر في القدر، أو القول بأنه لا قدر في مسائل القدر الجبرية والقدرية، فنحج بالناس إلى ما كان عليه الناس في القرن الأول الهجري وقرر ذلك بما قرره أئمة الإسلام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ ومالك رَحِمَهُ اللهُ والشافعي رَحِمَهُ اللهُ والإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ تعالى في هذه المسائل العظام.

ثم بعد ذلك الشيخ رَحِمَهُ اللهُ انتقل بالناس إلى مرحلة تالية وهي تحرير الناس من التقليد، وهذا ناتية سواء في مسائل الفقه أو في مسائل الاعتقاد، وأرشد الناس إلى العناية بكتب الحديث والسنة، ونجد بالذات في ذلك الزمان لم يكن فيها من كتب الحديث إلا أجزاء من البخاري، والشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى كان مهتماً بالسنة والحديث، فحينما رحل إلى مكة والمدينة فأخذ من العلماء الأحاديث وكتب السنة وكان أول ما أجز في ذلك الحديث الأول المعروف وحدثه به الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف عن شيخه أبي المواهب الشافعي الحنبلي المعروف وهذا الحديث هو حديث «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

وأدخل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في نجد عند طلبة العلم كتب الحديث فصارت تدرّس وهي لم تكن تدرّس، كان

غاية ما في الأمر عند الفقيه في ذلك الزمان أن يقال كان يفتي على المذاهب الأربعة، كيف كان يفتي على المذاهب الأربع؟ كان يحفظ أربعة متون، كان يحفظ في المذهب الحنفي متنا، وفي المذهب المالكي متنا، وفي المذهب الشافعي متنا، وفي المذهب الحنبلي متنا، وإذا أتاه السائل يستفتيه قال له على أي مذهب أنت؟ فيقول على مذهب كذا فيقول: الفتوى كذا على المذهب، فكان يثنى على فلان من الناس بأنه كان يفتي على المذاهب الأربعة، أو كان يقضي بالمذاهب الأربعة، ولا شك أن هذا ليس هو دين الله جل وعلا.

لهذا يذكر عن أن المرء يخير المستفتي تريد أن أفتيك على أي مذهب؟ الواجب على العالم أن يفتي بما دل عليه الدليل، فإذا لم يجد الدليل دلّ بظهور على المسألة فإنه يأخذ بقول إمام معتبر يقتنع بحجته أو بقوله واجتهاده.

مما يذكر في هذا المقام أن الشيخ منصور البهوتي الحنبلي المعروف مصنف عدد كتب المذهب «الروض المربع شرح زاد المستقنع» و«شرح منتهى الإرادات» و«كشف القناع عن متن الإقناع» وغيرها من كتب المذهب والحواشي المعروفة، استفتاه أحد الناس في مكة في مسألة سألها عنها فأجابها، فقال له أحد تلامذته الذين معه قال: يا شيخ منصور هذه تخالف ما ذكرته في كتابك كذا وكذا. قال: نعم لأن الكتاب ألفناه على المذهب للتعليم. - أو نحوها الوهم مني - وأما الفتوى فهي لما سأل عنه يوم القيامة.

وهذا الحس الذي عند العلماء، الشيخ رحمه الله في نجد أول ما بدأ بالدعوة جعل الناس يهتمون بالدليل ويحرصون عليه.

وهنا لابد من التنبيه إلى أن الاجتهاد الذي دعا إليه الشيخ رحمه الله تعالى عورض بشدة حتى إن من الناس من كفر الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأجل أنه ادعى الاجتهاد، قالوا: والاجتهاد قد قفل بابه منذ أزمان لأنه لا وجود للشروط المجتهد. وردّ عليه الشيخ بعبارة قال: هذه الشروط التي جعلوها للمجتهد لعلها لا توجد كاملة في أبي بكر ولا في عمر رضي الله عنهما؛ لأنهم اشترطوا في المجتهد أن يحفظ كتاب كذا، وأن يحفظ من الأصول كذا، وأن يحفظ من علم البلاغة كذا، وهذه أشياء متأخرة والاجتهاد إنما هو فقه النصوص والسنة وإنما تفقه باللغة العربية وبما فهمه الأئمة.

فالاجتهاد مبني على أن يكون العالم عنده الآلة للاجتهاد الآية العربية لفهم النصوص، وأن يكون مطلعاً على أقوال الأئمة السابقين، وأن لا يقول قولاً يخالف ما عليه علماء والأئمة.

ولهذا لا يعرف لإمام الدعوة رحمه الله في مسألة أنه قال بخلاف قول الأئمة الأربعة، لا يعرف أنه أفتى في مسألة لا توافق أحد من الأئمة؛ بل لابد أن تكون في مسائل الفقه مما اجتهد فيه وخالف مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن تكون موافقة لأحد المذاهب الأخرى حرصاً منه على هذه المسألة.

ولهذا لما قيل له رَحِمَهُ اللهُ عَلَى كلمة قالها قيل له: إنك لا تلتزم بالمذهب، قال في رسالة وأكثر ما في المنتهى والإقناع -يعني من كتب المذهب الحنبلي- مخالف لنص أحمد وقوله. وأكثر يعني كثير ليس أكثر يعني الغالب أفعل هنا بمعنى فعيل؛ يعني أكثر يعني كثير مما في الإقناع والمنتهى مخالف لما في مذهب أحمد أو لنص أحمد وقوله.

ثم بعد ذلك لما شنعوا عليه كثيرا بأنه يخرج عن المذاهب إلى آخره أَلَف «رسالة آداب المشي إلى الصلاة» انتزعها من كتاب «كشاف القناع عن متن الإقناع» انتزاعا حسنا وجعلها على فوص المذهب لأجل التعليم.

هذه الحركة حركة الاجتهاد ودعوة العلماء أن لا يلتزموا في كلامهم بمذهب معين لاشك أنها أطلقت للنفس وللعلماء أطلقت لهم البعد والتقليد والتبعية، وأول التقليد يكون به الاتباع أن يكون المرء حريصا على فهم كلام الله جل وعلا وكلام رسوله ﷺ، أما إذا كان وصاب أحد الناس مليئا بقول فلان وفلان ووصابه وقلبه قد لا يوجد فيه إلا قليل من كلام الله جل وعلا وكلام رسوله ﷺ هذا لاشك أنه مذموم، فإن طالب العلم يجب عليه أن يحرص أكثر الحرص على حفظ القرآن وعلى حفظ السنة قدر الإمكان، وبعد ذلك إذا حصل ما حصل منهما، فإنه يقبل على أهل العلم في فقه النصوص وتحصل عنده بعد ذلك ملكة.

لكن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ فرق فرقا مهما في مسألة الاجتهاد؛ لأن الاجتهاد يكون في الفتوى وفي طلب العلم، ولا يكون في القضاء.

ففي الفتوى تجد أنه لم يلزم الناس بمذهب معين؛ لكنه في القضاء أوصى القضاة وأمرهم بأن يكون الحكم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ تعالى، ما السبب في هذا التفريق وما بين القضاء؟ أن القضاء خصومة والفتوى فيما بين المرء وبين ربه جل وعلا، والخصومات تقع متشابهة، فلو قال فلان من الناس في مسألة هذه اجتهد فيها قاضي من القضاة ببلد معين، وفي البلد الذي بجانبه قضى فيها بمذهب آخر وهم تحت ولاية واحدة، فصار هناك اختلاف في القضاء هذا يقضي بحكم هذا يقتل على مذهب المالكية والثاني يقول لا يقتل فيهدر دمه بمذهب ولا يهدر دمه في مذهب، أو تطلق منه زوجته في مذهب ولا تطلق زوجته في مذهب، ويحصل في هذا خلل كبير في الناس فكان من السياسة الشرعية الحكيمة أن يجعل الناس في القضاء على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل أن الاجتهاد لا ينقض باجتهاد باتفاق العلماء، حتى من هم على مذاهب أخرى عندهم أنه إذا حكم قاضي من أي مذهب فإنه يكون عندهم صحيحا باعتبار ما حكم به المذهب؛ لأن الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر؛ لأنه حينئذ تكون الأمور فوضي.

صفحة أخرى من صفحات الدعوة والعناية بالإمام رَحِمَهُ اللهُ تعالى أنه اعتنى بالأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر كثيرا، فلأول مرة وجد ترتيب أهل الحسبة وهم النواب كتسمية ذلك الوقت، أو يسمونهم المطاوعة في ذلك الوقت؛ يعني الذين يأمر الناس بطاعة الله جل وعلا، أو في عرفنا الحاضر أعضاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فرتب في كل بلد أهل الحسبة يحتسبون وينكرون ويأمر الناس بالمعروف وأداء الصلاة في الجماعات وينهون عن المنكر، ورتب في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورتبه على ما عليه أصول أهل السنة والجماعة، وأرسل في ذلك الرسائل؛ بأنه لا يجوز أن ينكر منكر ويحدث بعد ذلك منكر أكبر منه لأن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح ودرء المفاسد وتقليلها.

فإذا يأتي أحد وقال أنا أريد أنا أنكر منكرا ومن هذا المنكر يحدث منك أكبر منه، فلا تنكر المنكر الأقل بقاءنا في المنكر الأقل خير من أن يفضي إلى ما هو أكبر.

وهنا قصة تبين حكمة الشيخ رحمه الله في هذه المسألة لأنه مرة كان هناك صراع وقتال بين قبيلتين وطلبهم الإمام في ذلك الزمان الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمهم الله تعالى، وأتوا فأصلح بينهم الإمام والشيخ محمد بن عبد الوهاب واصطلحوا وكفوا عن الغارات وعن القتال الذي كان بينهم، وهم في المسجد كان أحد شيوخ القبيلتين لما أراد أن يسجد سقط من جيبه أنبوب شرب الدخان كان سابقا في أنبوب - ما رأيته لكن بما يصفون - أنبوب طويل يحشى بالتبغ ثم بعد ذلك يشعل في أسفله يمتصه في آخره، وكان في ذلك الوقت يعزر من كان يشرب التبغ، وإذا وجده أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أحد فإنهم يعزرونه، وسقط من هذا الرجل في المسجد والشيخ رحمه الله بجنبه يراه، ولما فرغ من الصلاة أتوه الطلاب وبعض الناس عنده طلاب العلم وبعض أهل الحسبة قالوا: فلان معه كذا وكذا، قال: ما رأينا شيئا. قالوا: معه، كان في جنبك وسقط. قال: ما رأيت شيئا أتركوه. ونهرهم حتى تركوا وسكتوا عن المسألة وهم مستغربون.

فلما مر الزمان أوضح لهم أن هذا الآن أصلحنا بينهم في مسألة قتال، هم اقتتلوا والآن قبلوا بالصلح فنأتي ننكر عليه مسألة شرب الدخان، هذا ليس من الشريعة، وهذا من حكمته؛ لأنه لو أنكر عليه وعدل عن صلحه ورجع لسالت الدماء من جديد.

فكان من سيرته رحمه الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وثم عدة رسائل موجودة عندكم أنه كان يوصي أنه كان يوصي الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر بالقيام بالحسبة كما قال جل وعلا لأن الأمر والنهي من سمة هذه الأمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَتَكُنْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فرتب ذلك وبين لهم درجات الإنكار شيئا فشيئا حتى صار لأول مرة ترتيب خاص شيئا فشيئا حتى صار لأول مرة ترتيب لأهل الحسبة في ذلك.

هذه سمة مهمة من السمات التي تميزت بها دعوة الإمام رحمه الله تعالى.

من السمات المهمة التي تميّزت بها الدعوة أنه رتبَ رَحِمَهُ اللهُ بما أمر به إمام وقته الإمام محمد بن سعود وبعده عبد العزيز بن محمد بن سعود والأئمة من آل سعود بعد ذلك رتبوا الوضع الإداري للإمارات في نجد، وهو لأول مرة تكون الإدارة في الحكم وفي الجهات الشرعية، وثم عدة رسائل تبين ذلك موجودة محفوظة في التاريخ، وفي كتب «الدرر السنية» و«الرسائل والمسائل» وغيرها، رتبوا أن يكون مثلاً أهل الحسبة يرجعون إلى القاضي، والقاضي يرجع إلى الأمير، والأمير في بلد ما إذا ما استطاع أن يحل المسألة فإنه يرفع إلى الدرعية يعني إلى الإمام، وثم بعد ذلك ينظر فيها الإمام ويستشير في ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذا؛ وكتب في هذا رسالة وقال: لا تستعجلوا في أن ترفعوا إلينا كل ما يحصل عنكم؛ بل راجعوا القاضي، والقاضي مع الأمير يبحث فإن صلح الأمر واستقام وإلا فيرفع الأمير إلى الإمام، وحينئذ ينظر في الأمر إن شاء الله.

وهذا الترتيب الإيجابي ونواة لترتيب جديد لم تعهده المنطقة قبل ذلك، وهذا هياً أن تكون الإدارة إدارة الدولة في ذلك الحين إدارة منظمة وقوية وليس فيها خلل.

ولهذا لم يمكن انهيار الدولة السعودية الأولى بخلل في داخلها، وإنما كان بظلم من العباد كما جاءت العساكر التركية في ذلك الوقت وهدموا الدرعية وقضوا على الدعوة في هذا الأمر.

وتم ربط تاريخي ربطه المؤرخ الجبرتي في كتابه «التاريخ» ونقله عنه الأستاذ محمد محمود شاكر في كتابه «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» ربط ربطاً حسناً بين بدء الحملة الفرنسية على مصر وبين الحملة المصرية أو التركية على الدرعية أو على الدولة السعودية الأولى، حيث إن الحملة الفرنسية على مصر لما أتت بعد بضع سنوات فقط لما ولي محمد علي مصر - هو كان ألباني - كان قائداً ليس بالمشهور أرسله الوالي التركي إلى مصر لينظر في حال المماليك وفي حال الولاية، ثم اتفق مع الفرنسيين في قصة معروفة تاريخياً، المقصود أنه بعد مجيء الحملة الفرنسية على مصر وتولي محمد علي بضع سنوات أربع أو خمس سنوات بدأت الحملة على نجد وعلى الدولة السعودية الأولى خلصوا منها مؤرخ الجبركي والأستاذ محمد شاكر بعبارة موجزة ولكنها منبئة.

خلصوا منها إلى أن الغرب درسوا أن هذه الحركة تتميز بشيء وهو تخليص الناس من التقليد والتبعية، وتخليص الناس من التقليد والتبعية والصوفية ونحو ذلك يهيئ روح الجهاد عند الناس، وإذا قام في المسلمين روح الجهاد فإنه لا بد أن يكون توسع وبالتالي فإن هذا فيه خطر على المصالح.

وهذا في الواقع عبر عنه بعض المستشرقين من الكتاب بقوله لما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قال: لقد زرع ابن تيمية قنابل على طول العالم الإسلامي، أتى بعده ابن عبد الوهاب ففجّرهما.

يعني - وهذه نظرة للمستشرق - لأنهم كانوا يدرسون ويتأملون ما كانوا يأخذون بالظواهر يأخذون بالحقيقة، إذا كان الدعوة ليس فيها تقليد فيها دعوة إلى الدليل، فيها دعوة تحقيق الحق، فيها دعوة إلى

توحيد الله جل وعلا، وأنه لا بد من توحيد الله جل جلاله ولا بد من تحكيم الشريعة ولا بد من الأمر بذلك والجهاد فيه، فإذن لن يكون هناك ولاء ولا موالاتة مع الكفار ولا خضوع أو ترك للجهاد في سبيل الله.

لهذا تميزت الدعوة أنها قامت بالجهاد وكان جهادا ليس جهاد طلب، وإنما كان جهادا لأجل دحض المظاهر الشركية، كانوا يرسلون أهل بلد معين أهل البلد هذا، أهل البلد هذه عندكم من المظاهر الشركية كذا وكذا التوحيد، يرسل الرسائل رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، حتى إنه أرسل رسائل الوالي العثماني، أرسل رسائل المغرب في ذلك الوقت، أرسل الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام عبد العزيز بن محمد رسائل كثيرة في تبين حقيقة الدعوة، ثم أتوا الناس بعد ذلك وجنوا عليها ونسبوا إلى الشيخ وإلى الدعوة أشياء الله جل وعلا تولى دفاعه عنهم جل جلاله ورحمهم الله تعالى.

المقصود من ذلك أن الدعوة تميزت بهذه الميزة وهي أنها حررت المجتمع، أحييت في الناس روحا جديدة، قوة جديدة، نظرة لأشياء جديدة، لم يكونوا يألفونها؛ ولذلك حوربت أتم حرب وقُضي عليها في الدولة السعودية.

الدعوة مورست في الدولة -استطراد يسير- مورست في الدولة السعودية الثانية فقامت على دعوة، وكذلك الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ وكانت كلها مستمسكة بأصل هذه الدعوة وهي دعوة الإمام المصلح السلفية، الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ لم يأت بشيء جديد، وليس داعيا إلى مذهب يخصه، ومن رأى مسألة من المسائل يخالف فيها المذاهب الأربعة حينئذ يدلي بها؛ ولكن الشيخ يقول: أنا ما خلفت أحدا يعني ما خالفت الأئمة الأربعة إنما دعوت إلى ما دعت إليه الأئمة، إلى ما دعا إليه الإمام مالك والشافعي وأحمد في أصول الاعتقاد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والإمام ابن جرير وإسحاق ونحوهم من الأئمة، وفي الفروع أنا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ إلا فيما خالفوا فيه الدليل فإنما كلام الله جل وعلا وكلام رسول الله ﷺ أحق أن يطاع.

وهذا الأصل مهم أن يُعرف، وهو أن الذين يسمون الدعوة أنها دعوة وهابية أو مذهب وهابي فهذا فيه جنائية وهناك من جنى جنائية أكبر من ذلك ممن كتبوا في عصر الشيخ وفيما بعده جنوا أكبر جنائية حينما كتبوا في بعض رسائلهم كما في «الدرر السنية في الرد على الوهابية»، قالوا عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: إن الظاهر أنه كان يدعي النبوة. وقالوا: الظاهر أنه كان يأخذ من النساء أكثر من أربع، وكان يأمر من اتبعه أن يحلقوا رؤوسهم عنده حتى قال بعضهم في كتاب له، يقول: وجاء في الحديث عن الرسول ﷺ -في كتاب الرد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب- يقول: يخرج في ثاني عشر قرنا من الزمان رجل كهية الثور، لا يزال يلحق برأطمه يحدث فتنة يعتز فيها الأراذل والسفل، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. وقال بعدها: وهذا الحديث وإن لم يعرف من خرج -لأنه هو الذي وضعه لأنه هو الذي كذبه- لكن شواهد الصحة تدل عليه.

ومع ذلك كان الإمام رَحِمَهُ اللهُ صابراً محتسباً وما التفت إلى هذه الأقوال التي تعتدي على شخصه، لا تجد في رسالة إلا أنه يدافع عن الدين.

حتى إنه قيل له مرة إنك تقول: إني لو قدرت على القبة التي على قبر النبي ﷺ لهدمتها؟ قال: جوابي أن أقول: سبحانه هذا بهتان عظيم.

وهذا ولاشك، ينبئ الدارس للدعوة ولسيرة الشيخ أنه كان في دعوته يريد الحق وهو أن يدعو الناس إلى ما كان عليه السلف الصالح من عبادة الله وحده لا شريك له، ومن عدم التعلق بالأموات والاستغاثة بالأولياء، والاعتقاد فيمن ذهبوا إلى ربهم، ونرجو لهم عنده المنزلة العليا والزلفى برحمة الله جل جلاله، فيمن كانوا يعتقدون في الولي، كل بلد فيها ولي، وكل بلد فيها قبر، وكل بلد فيها قبة.

حتى في وقت قريب ربما رأيت بعض الصور في مكة كانت مقبرة المعلاق كانت كلها قباب قبر السيدة خديجة، وقبر السيد فلان، في كل بلد حتى أم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رأيت بعض الصور الفوتوغرافية إلى أن الحجاج يذهبون يمكثون عند قبرها كان عليها قبة كبيرة يمكثون عدة أيام لا بد يوم أو يومين أو ثلاثة يمكثون عند القبر، وفعل الجهال هذا لاشك أنه ليس بمرضي شرعاً؛ بل هو الشرك المحقق الذي أخبر الله جل وعلا به ونهى عنه عباده وأمر المرسلين بالنهي عنه.

الحديث عن الدعوة وعن سيرة الإمام المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله يتنوع ويتشعب.

لكن نختم بسمة مهمة من سمات تلك الدعوة أن الدعوة تميّزت عن كل الدعوات التي سبقتها بأنها دعوة ناصرتها دولة، وأنها لم تكن دعوة نظرية أو علمية، وإنما كانت دعوة استجابت لها دولة، وقام لها كيان، وأثرت في الجزيرة وأثرت في بلاد كثيرة، حتى إن عدداً من الباحثين سواء من المسلمين أو غير المسلمين أرجعوا كثيراً من الحركات الإصلاحية سواء كانت السلفية أو غير السلفية في العالم الإسلامي إلى التأثير بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

فقالوا مثلاً: إن الشيخ محمد عبده المصري وجمال الدين الأفغاني إنهم ممن تأثروا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقالوا: إن السنوسي ممن تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقالوا: إنه في السودان المهدي ممن تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقالوا وقالوا في دعوات لا يمكن أن توصف بأنها دعوات سلفية بتمامها؛ ولكن كل الحركات الإصلاحية نراها بعد الدعوة والدولة وهذا يبين لك حقيقة أن البداية أو سن السنة الحسنة التي سنّها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في دعوته، أنها كانت سنة حسنة كان لها الخير الكبير في الجزيرة وفي غيرها.

علماء الجزيرة في مكة في زمن الشريف غالب رَحِمَهُ اللهُ هناك اتفاق كبير معروف صكوا وثيقة كبيرة اجتمع

علماء أتوا من الدرعية من علماء الدعوة منهم الشيخ حمد بن معمر وجماعة من العلماء وعدد من علماء مكة من المذاهب الأربعة واتفقوا فيها على أصول التوحيد، وهي موجودة الأصل موجود بأختام الجميع واتفقوا فيها على أن هذا هو الحق، وهذا كان أيضا موافقا عليه من قبل عدد من علماء اليمن مثل الأمير محمد الصنعاني صاحب «سبل السلام» وصاحب «رسالة تطهير الاعتقاد عن أدران الاعتقاد» وصاحب القصيدة المعروفة في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدالية المشهورة وكذلك الشوكاني وعدد من العلماء، وفي جنوب الجزيرة أيضا في عسير ومخلاف السليمان في ذلك الوقت عدد من العلماء تأثروا بالدعوة قبل وصولها إليهم كدولة، وكذلك الخليج وفي الشام وفي مصر وفي غيرها.

فالدعوة لاشك كان لها الأثر الكبير في أمصار كبيرة.

لكن لم يكن لها الأثر لو لا فضل الله جل وعلا وآخر ثم مساندة الدولة، وكل فضل ينسب إلى الدعوة؛ لا بد أن ينسب قبل ذلك إلى الأئمة من آل سعود الذين أيّدوا هذه الدعوة، وإذا نظرنا إلى الدعوات السابقة لعدد من العلماء وجدنا أنهم لما لم يصن دعوتهم سيف وسان كانت دعواتهم قاصرة. هذا شيخ الإسلام ابن تيمية هو أعلم وأفقه وأكثر اجتهادا وإنما الشيخ محمد بن عبد الوهاب حسنة من حسنات الشيخ شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لكن لم يكن لدعوته من التأثير العام والفعلي حتى في بلده مات رَحِمَهُ اللهُ ولا زالت القبور الشركية موجودة ولا زالت عدد من الأشياء في بلده وفي مصر التي ذهب إليها لم يستطع أن يخلص لا الناس؛ لأنه ما مده السلطان؛ بل كان السلطان في زمنه ضده فسجن في مصر وسجن في الشام كما هو معلوم ومات في سجن القلعة رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

وعدد من العلماء لهم مؤلفات قوية ولهم إنكار ولهم معرفة بالسنة وتأليف في التوحيد؛ لكن أين أثرهم العام في الناس؟ تجد أن الأثر العام كان قليلا كان محصورا في طلبة العلم الذي تأثروا بهم أو في موجود مصنفاتهم.

أما أثر الدعوة الإصلاحية كان أكبر الأثر كما ترون اليوم دولة، وهناك من تأثر ودعوات كبيرة من البلاد، حتى وجد في جزر بعيدة تدرّس فيها كتب السنة والتوحيد والدعوة إلى نبذ الشرك والخرافة وأنواع البدع والمحدثات.

وجد والله الحمد الأثر الكبير، هذا الأثر لا يكون إلا بدولة، ولهذا من السمات البارزة لهذه الدولة أن الدعوة نظرت إلى سنة النبي ﷺ في أن النبي ﷺ إنما قوي لما هاجر إلى المدينة، ولما تعهد الأنصار في بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية بأن ينصروه وأن يؤيدوه؛ حتى قالوا له ما قالوا، ثم قال النبي ﷺ «بل الدم الدم، والهدم الهدم» يعني لن استبدل بكم يا أهل المدينة أو يا الأوس والخزرج أو يا الأنصار، لن استبدل بكم أحدا قالوا له: تخشى أنه إذا نصرك الله أن ترجع إلى مكة قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم» كما هو معروف في السيرة، وبقي في المدينة عليه الصلاة والسلام لأنها دار هجرته ولأن أهلها أهل

نصرة دعوته.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما اتفق مع الإمام محمد بن سعود أمير الدرعية إذ ذاك، قال الأمير محمد أخشى أنك تترك البلد بعد أن يظهر الله هذه الدعوة فقال له -وهو مدون في كتب السير- نفس الكلمة التي قالها إمامه وقدوته محمد بن عبد الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وفي ذلك الوقت عهد ومعاهدة والأمر شديد قبل لا يستحضر المرء السنة قد لا يستحضر تفاصيل لكنه رد عليه «بل الدم الدم، والهدم الهدم» وفعلًا مكث في الدرعية حتى توفاه الله جل وعلا فيها.

وهذا مما نأخذ منه درسا مهما في أن كل مصلح مخلص لله جل وعلا ولهذا الدين فإنه لا بد أن يضع يده في يد من يساند الدعوة، والآن أنتم تنظرون وتعلمون الخير الوفير والعلم الجرم ونشر العقيدة الصالحة وما حصل من تحقيق التوحيد ومن نبذ الخرافة والشرك بأثر الدولة والمملكة العربية السعودية وما قام به الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن رَحِمَهُ اللهُ فِي نشر هذه الدعوة في الداخل وفي الخارج واستقصاء من هم على الدعوة من السلفيين في الأماكن ومدتهم ونصرتهم مما حصل منه هذا الخير الكثير.

على كل حال هذه سمات متفرقة لهذه الدعوة، ولا شك أن حديثي قاصر عن الشيخ وعن دعوته؛ ولكن هي كلمات تفتح الباب لمن أراد المزيد في دراسة سيرة هذا الإمام المصلح، ودراسة أثر الدعوة والدولة على الناس في هذه البلاد وفي خارجها.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا وإياكم ممن كتب له القبول، وأصلح له علمه وعمله وبارك له في قوله وفي عمله، ونمّاه له.

كما أسأل الله جل وعلا أن يغفر لأئمتنا ولعلمائنا ولعلماء المسلمين السالفين، وأن يرضى عن صحابة نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان، وأن يجزل لهم المثوبة، وأن يرفع درجة أئمة الإسلام الذين جاهدوا في الله حق الجهاد، وبينوا وجددوا لهذه الأمة أمر دينها حقا فتركوها على أمر بين ويتوالى العلماء والمصلحون.

فنسأل الله جل وعلا لهم الرفع في الدرجات والمغفرة في الزلات، كما أن أسأل المولى جل وعلا أن يخص برحمته، وأن يزيد من فضله الإمام المصلح الأواب محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى رحمة واسعة، ورحم ورفع درجة من نصره وأيده وساعده في دعوته من الأئمة المصلحين من أسرة آل سعود ومن نصر دعوته وتلامذته وأبنائه وأحفاده ومن تأثر بهم إنه جواد كريم.

كما أسأل المولى جل جلاله بأسمائه وصفاته وأن يرينا دائما الحق حقا وأن يمن علينا باتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا وأن يمن علينا باجتنابه، وأن يجعلنا من المتحررين للحق المنصفين في أقوالهم وفي أعمالهم إنه سبحانه جواد كريم.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

المقدّم: جزئ الله معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ خير الجزاء على هذه الكلمات الطيبة التي أفاض بها في سيرة الإمام المجدّد العلامة القدوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ.
نجد أن بعض الأسئلة متعلّقة بالمحاضرة وبعضها أيضا متعلق بخارج المحاضرة فلعلنا نقدم الأسئلة المتعلقة بالمحاضرة، وجميع الأسئلة تقول للشيخ: إننا نحبُّكم في الله، ونحن معهم أيضا نحبك في الله الشيخ: أحبك الله الذي أحببتموني من أجله.

سؤال (١): **نتمنى إلقاء الضوء على الجانب العلمي من حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وخاصة في علوم الحديث والفقه وعلوم الآلة والتفسير؟**

الجواب: الجانب العلمي يتّضح بإيضاح أمور:
أولا: الطلب على المشايخ.

الثاني: ما هو موجود من الأسانيد التي أُجيز فيها بكتب كثيرة.

والثالث: ما هو موجود بين أيدينا من مؤلفاته المتعلقة بهذه الموضوعات.

أما بالنسبة للحديث فإنه كما ذكرت لك أخذ عن علماء الحرمين وأجيز بالكتب الستة وبغيرها، وهذه الأسانيد معروفة لدى العلماء، وموجودة في الكتب التي ترجمت له مثل «تاريخ نجد» لابن غنّام رحمه الله أو «تاريخ نجد» لابن بشر، أو «المقامات» للشيخ عبد الرّحمن بن حسن، أو غيرها من الكتب، وكان حريصا على تحصيل كتب السنة فحصل كثيرا جدا من كتب السنة ودرسها وأكثر من الاستدلال .
وثمّ عدد من مؤلفاته متعلق بالسنة، ففي التوحيد له انتخابات من كتب السنة فيما يتعلق بالتوحيد، وفي الفتن له انتخابات من السنة، وفي الفقه له «مجموع في الأحكام» في أربع مجلدات موجود ونقله فيها وانتخابه انتخاب حسن متميز.

أما من جهة الفقه فإن دراسته أصلا على أبيه الشيخ عبد الوهاب وعمه الشيخ إبراهيم بن سليمان كانت في الفقه الحنبلي، وأخذ منه من صغره ودرسه أتم الدراسة، ولهذا ألف فيه مؤلفات هي غاية العناية على اختصارها مثل اختصاره «للانصاف» و«الشرح الكبير» وجعل مختصر «الانصاف» و«الشرح الكبير» مدمجاً كل باب من هنا ومن هنا في باب واحد، اختصر الروايات والأبواب المختلفة والخلاف العالي والنازل في مكان واحد.

وفي الفقه الحنبلي له عدة رسائل وكتب في ذلك موجودة مثل «آداب المشي إلى الصلاة»، واهتم كثيرا بالسنة العامة فاختصر كتاب ابن القيم «زاد المعاد».

الاختصار في ذلك الوقت ليس مثل الاختصار في هذا الزمان، الآن كل طالب علم تجد عنده زاد الكعاد تجد عنده كتب السنة كلها وتجد عنده كتب الحديث، وتجد عنده ما شاء الله رفا أو جدارا مملوءا أو غرفة أو أكثر، أما في ذلك الزمان فتحصيل الكتب صعب ولذلك كان اختصاره لها لتقريبها لطلاب

العلم ولتكون أيسر في النسخ وفي توزيعها على الناس في البلاد وعلى طلبة العلم. والاختصار إذا كان فيه ملكة فإنه يدل على قوة علمية، ولهذا فتاوى الشيخ رحمه الله وهي موجودة كثيرة تدل على عمقه في علم الحديث، وعلى عمقه في علم الفقه.

فمثلاً في أحد الرسائل قال أحد العلماء الذين كتبوا له: وقد قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم ولو في الصين». فعقب عليه الشيخ رحمه الله بقوله: (ما ينبغي للمرء أن يتجافى أن يجزم بنسبة كلام إلى رسول الله ﷺ وهو لا يعرف صحته، وإنما إذا كان ولا بد، فيقول: وفي الحديث أو يروى في الحديث أو نحو هذه العبارة) ومعلوم البحث في إسناد هذا الحديث، المقصود أن ملكة الشيخ العلمية متنوعة، وأخذ من علماء مكة والمدينة والبصرة كما ذكرت لك وعلماء الأحساء وعلماء نجد باستفاضة.

سؤال (٢): ما حكم من يبغض هذا الشيخ المجدد رحمه الله، ويقول عنه: إنه لا يحب الرسول ﷺ، وينفر منه لأنه يحذر من إقامة الموالد، وأيضا يتهم أتباع الشيخ بأنهم وهابيين.

الجواب: أولاً مسألة الوهابية ليست تهمة،

إن كان تابع أحمد متوهبا فأنا المقرر بأنني وهابي (إن كان تابع أحمد متوهبا) يعني الذي سيتبع النبي ﷺ وهابي، قل: (أنا المقرر بأنني وهابي)، مثل ما قال الشافعي:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضى

والشيخ رحمه الله محبته للنبي ﷺ محبة أعظم ما تكون المحبة؛ لأنها محبة قولية واعتقادية وعملية.

أما القولية فإنه اهتم بسنة النبي ﷺ وحفظ الحديث ودرسه والاهتمام بسنته، والدعوة إلى الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام في كل مكان.

وكان اثنان يتناقشان فأحدهما يقول لهذا -وهذا من أتباع الدعوة السلفية أو من أنصار الدعوة السلفية- يقول له الآخر: إن محمد بن عبد الوهاب ما يحب أهل البيت، فقال له -وكان ذكياً-: ما اسم أولادك فعدد أسماء مختلفة، قال لكن الشيخ محمد أتدري ما أسماء أولاده؟ اسم أولاده الكبير علي وعبد الله والحسن والحسين، وله ابنتان واحدة اسمها فاطمة والثانية اسمها سارة، إذا كان من شدة ومحبته وتعلقه بآل البيت يسمي أولاده بأسمائهم حتى يراهم يتحركون أمامه، ويرى أن هذا علي فيذكره بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحسن والحسين ويرى حب آل البيت هنا عملي، وما اختار الأسماء الشائعة، إذ ذاك في نجد مثل سليمان، ما سمى باسم أبيه عبد الوهاب، مع أنه تعبيد لله جل وعلا؛ لكن سمى بهذا وله ولد اسمه إبراهيم باسم خليل الله إبراهيم، فهو حتى في تسمية الأولاد كان له في ذلك المحبة.

ومن رأى كتاباته بيده عليه رحمة الله وانظروها في الرسائل التي هي بيده إذا وردت الصلاة على النبي

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليس كسائل المؤلفين يوردها بخط صغير ربما ما تقرأ الصلاة، أكثر المخطوطات تجد الصلاة على النبي ﷺ ما تقرأها تشبك بحث تعرف أنها الصلاة على النبي ﷺ؛ لكن ما تستبين الشيخ كان يكتبها بخط كبير واضح، وهي موجودة في رسائله التي بيده وفي الصكوك أو الوثائق التي كان يكتبها رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

من الجهة العملية هو دعا الناس إلى السنة، فإذا كان اتباع الحبيب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليس هو دليل المحبة فمتى يكون دليل المحبة والله جل وعلا يقول لنبیه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فالنبي ﷺ حقه في محبته أن يتبع، وأن يستجاب له فيما أمر ونهى وأن تعظم سنته وأن يصلى عليه في كل مجلس عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كلما ذكر اسمه الشريف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. لكن البدع والمحدثات الذي نهى عنها هو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «إياكم ومحدثات الأمور» يحذر أمته، يقول: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا به وعظوا عليها بالنواجز وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة» لو كان النبي ﷺ بين الناس اليوم، وقال لهم: «إياكم ومحدثات الأمور»، وتساءل أي واحد هل المولد محدث أو غير محدث؟ ما يقول أحد ليس بمحدث. سيقول محدث؛ لأنه لم يفعله النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا معاوية ولا الأمويين ولا العباسيين، إنما ابتدع فعله من الفاطميين من الدولة العبيدية الإسماعيلية المعروفة، ثم انتشر في الناس من ذلك في الزمان واستحسنه عدد من العلماء، والعلماء يصيبون ويخطئون، استحسنه عدد كبير من العلماء؛ لكن العلماء يصيبون ويخطئون، وما استحسنه العدد من العلماء ليس على الصورة التي توجد في أماكن كثيرة من العالم الإسلامي من الأدعية الشركية ولا الاستغاثات أو حضور روح النبي ﷺ أو القيام له أو نحو ذلك مما يجزم أنه من البدع المغلظة في الشريعة وقد تصل في بعض الأقوال إلى كان فيها استغاثة بالغايبين إلى الشرك الأكبر والعياذ بالله.

المقصود أن الشيخ ليس ذنبه أن يكون دعا إلى السنة وعظم قول النبي ﷺ وعظم هدي النبي ﷺ؛ بل هذا المفروض عند كل مسلم أن يكون أدعى في أن يحبه؛ لأنه أحب الحبيب فإذا كان هو أحب النبي ﷺ ونحن نحب النبي ﷺ، فإذا نحن نحب من أحب النبي ﷺ حقيقة وليس لسانا.

ولهذا كان بعض العلماء من مصر جاء يدرس في الرياض في كلية الشريعة، ولما مضى فترة يعني من تدريسه قال لأحد المشايخ: الحقيقة أننا في مصر نحب النبي ﷺ بالقول، وأنتم هنا تحبونه بالقول والعمل. يعني أننا نحب أن نصلي عليه ونحبه وكلما ذكر نصلي عليه ونحبه وكلما ذكر صلينا عليه وأنتم تصلون لكن أيضا أنتم شديدون في السنة على سنة النبي ﷺ أفعليها، النبي ﷺ نهى عن كذا لا تفعل هذا نوع من المحبة العملية والاعتقادية التي تميزت بها هذه الدعوة، رضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ،

ورحم الله الأئمة المجددین.

سؤال (٣): نأمل أن تطبع الوزارة مجموعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المطبوعة سابقاً في جامعة الإمام وتوزعها على نطاق واسع.

الجواب: هذا إن شاء الله رأي حسن، إما في الوزارة أو في غيرها، لكن ينبغي أن يُنتبه إلى أنه في ما طبعته الجامعة إذ ذاك، ثم عدة رسائل ليست للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإنما وجدت بخطه فنسبت إليه، وهو رحمه الله كأي عالم أو طالب علم ربما نقل أشياء من كتب واختصر بعض الكتب لنفسه، ووجدت كناشات عنده كل واحد عنده يطلب بلخص من الكتب وينقل نقولات وليست تأليفاً له، ما نقلته أنا من كتاب فلان والكتاب الفلاني لنفسه أستحضره وقت الطلب أو إذا أردت، ليس هذا تأليفاً، ولذلك فيه عدد من الرسائل وجدت بخطه لكن ليست تأليفاً له.

مثالها رسالة تسمى «رسالة أحكام تمنى الموت» وهذه موجودة ورأيتها بنفسه بخط الشيخ موجودة في جامعة لايدن بهولندا، وهي ورقة واحدة، كتب الشيخ عليها (أحكام تمنى الموت) ونقل الأحكام الفقهية، ثم لما انتهت الورقة بعدها أوراق فيها أحاديث نقلها من كتاب للسيوطي اسمه «أحوال القبور»، فهذه أحاديث مختلفة يعزوها إلى من خرّجها، الشيخ رحمه الله وجد هذه فاختصرها، فجاء صاحب الكتاب فجلد هذه مع هذه فظن أن أحكام تمنى الموت كله، أحوال الموتى في القبور ما لها علاقة بتمنى الموت، أحكام تمنى الموت وحكمه هل يجوز أو لا يجوز وما حكم أقوال الفقهاء وهو في ورقة واحدة، وهذه الرسالة لا تصح نسبتها، ثم أيضاً غيرها في المجموع، ولعله يكون عليه تنبيه مفصل إن شاء الله تعالى.

سؤال (٤): ما رأيكم في الشباب الذين يخوضون في مجالسهم في أعراض العلماء والتنقيص منهم، أو الخوض في الأمراء؟

الجواب: أولاً النصيحة لنفسه وللجميع بتقوى الله جل وعلا؛ لأن كل إنسان سيحاسب على قوله وعمله، والذي يقع في العلماء الراسخين ومن لهم قدم صدق في الأمة فقد ظلم نفسه، وكذلك الذي يقع في من هم من أنصار الدعوة وحُماتها، أيضاً يكون ظالماً لنفسه؛ لأن هذا ليس وسيلة إصلاح وإنما هو :
أولاً غيبة، والغيبة محرمة ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، ولا شك أن العلماء والأمراء منا ونحن منهم، فإذا اغتبتنا صدق علينا هذا ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، وقد قال جمع من أهل العلم إن الغيبة محرمة ويغلظ تحريمها بغلظ شأن المغتاب، فليس غيبة الصحابة أو التنقص منهم كغيبة التابعين التنقص منهم أو كغيبة الأئمة السالفين والتنقص منهم وهكذا؛ لكن يجمع الجميع الغيبة.
ولهذا وصيتي للجميع تقوى الله جل وعلا، وأنه يجب التعاون على البر والتقوى مع العلماء ومع الأمراء ومع الولاة.

ونحن والله الحمد في هذه البلاد لا يوجد -مع عدم مبالغة- مثال اليوم في الأرض لمثل العلاقة ما بين العلماء والأمراء في هذه الدولة، لا يوجد مثلها، إلا المغالط، فهذا شيء آخر؛ لكن العلاقة لا وجود مثلها. لكن لا يتصور أحد أنه من شرط الأمير أن يقبل الأمير كل ما قاله العالم، أو أن كل ما قاله العالم دائما يكون على صواب، أنه يكون في المصلحة، ثم أشياء منصوص عليها وثم أشياء غير منصوص عليها، وباب الاجتهاد يخوض فيه الناس ما بين مصيب وما بين مخطئ.

ولهذا يجب على الجميع أن يكفوا على هذا المنوال، وأن يحفظوا لأنفسهم حستاهم؛ لأنك إذا اغتبت فإن حسناتك ستذهب لمن أغتبه كما جاء في الحديث.

لهذا لما ذكر عند بعض السلف قولي له فلان يغتاب الصحابة والتابعين من أهل البدع -تذكر عن عائشة وعن غيرها أيضا- أنه قال: ما ظنكم قوم مضوا وانقضى علمهم فأراد الله جل وعلا أن لا تنقطع أعمالهم. هذا يغتاب وهذا يغتاب.

مرة أحد المشايخ أغتیب فطلب منه المغتاب أن يصفح عنه، فقال له: أما ما ذكرت -يعني في رسالة طويلة- مما وقع منك ومن غيرك في عرضي، فتلك أعراض أنتهكت -يعني كان زمن فتنة- أعدّها ليوم فقري وحاجتي.

هذه مسألة ليست بالسهلة واحد بالكلام ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمْرٍ بَصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وعند عدد من العلماء الغيبة كبيرة؛ لأن الله جل وعلا جعلها كأكل لحم الميت قال ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، وأكل لحم الميت من الإنسان كبيرة، فاستدلوا به أن الغيبة من الكبيرة.

وإذا كانت الغيبة من الكبائر، فالصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، إذا كان المرء ما يجتنب كبيرة الغيبة، ويقع المرء في أهل العلم وفي أهل الولاية من الأمراء فيما بعضه قد يكون محققا فيه وبعضه لا يكون محققا فيه، فإن هذا أمره عظيم، ولا تظن أن الغيبة هي أن تذكر بما ليس بصواب؛ يعني أن تذكر كذا لا، الغيبة أن تذكروا شيئا صحيحا؛ لكن يكره منك الآخر أن تذكره؛ لأن النبي ﷺ فرّق بين الغيبة وبين النيمة -تأخرنا عن الصلاة كثيرا- فقال: «ذكرك أخاك بما يكره، إن كان فيه ما قلت فقد اغتبه وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته».

لهذا أمر الجميع أن ينتهوا من هذا الأمر، وأن يسعوا إلى إصلاح عملهم علمهم وأن يدعوا الله جل وعلا، فالمرء إذا كان عنده عمل ودعوة وخير وإصلاح؛ فإنه يغفل عن مثل نقد الآخرين والغيبة والنيمة، وعنده ما يشغله وما يتقرب به إلى ربه، أما إذا كان همّه الجلوس وعنده وقت فراغ كثير، فإنه يغريه بالشيطان بأنه ينصر الدين بالغيبة فهذا مزلّة أقدام ومضلة أفهام.

سؤال (٣): هل الخبر الذي أحرزنا صحيح وهو أنه صدر منع من الدعاء لإخواننا المسلمين في

الشيشان في المحاضرات والدروس؟

الجواب: أعوذ بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا مما يبين - يعني هذا السؤال ومنشأه - مما يبين أننا في حالة علمية ضعيفة، وما كنت أظن أن أئمة المساجد - أنا والخطباء وطلبة العلم والدعاة - عندهم من نقص العلم ما اتضح لي بعد ظهور ما ذكرته للتابعين في الوزارة في هذه المسألة.

مسألة القنوت للشيشان والدعاء لهم هذا مطلوب، القنوت لهم في رمضان والتراويح، الدعاء لهم في خطب الجمعة، الدعاء لهم في المحاضرات وفي الدروس؛ لأنهم مجاهدون صادقون فيما نحسب والله حسيهم وضد ملاحدة ودعمهم بالمال والدعاء والجهد هذا واجب على الجميع، ولا يجوز لأحد أن ييخل في هذا الميدان؛ يعني فيما يستطيع من الدعاء أو فيما يستطيع من بذل المال.

لكن ثم مسألة أخرى شرعية الناس لم يفقهوا هذه لضعف الفقه الشرعي، وهي مسألة قنوت النوازل، قنوت النوازل غير مسألة الدعاء مثل ما ذكرت لك مطلوب وأنا آمل هنا؛ بل أنا أطلب من الخطباء أو من يلقي أن يدعو لإخواننا في الشيشان وهذا عمل صالح نتقرب به.

ولكن مسألة قنوت النوازل هذه مسألة أخرى الآن لو يأتي أحد يريد أن يقوم بصلاة استسقاء بدون فتوى شرعية أو بدون إذن من ولي أمر يصلح شرعا وفقها؟ ما يصلح، نتظر نقول: جاء الإذن أمر الملك بصلاة الاستسقاء.

في عدد من المسائل الشرعية منوطة في الفقه بفتوى شرعية؛ يعني ليس لكل إمام أن يتدبرها، وليس لكل مسجد أن يتدبرها؛ بل لابد من فتوى شرعية في ذلك.

وهذا الذي ذكرناه لهم؛ أنه لابد من فتوى شرعية للقنوت.

ومسألة قنوت النوازل السنة فيه يجب أن تعلم، ومع الأسف أنه غابت السنة في هذه المسألة، وغلب اجتهاد على ما هو ظاهر لدي أنا من السنة، وما يجوز لي أنا وأنا مسؤول وعندي ولاية شرعية، ما يجوز لي أن أقلد في مسألة يظهر لي الصواب شرعا، إذا كان يظهر لي فيها الصواب شرعا بالسنة أنه الصواب كذا، فما يجوز لي أن أقلد وضعا كان سابقا أو نحو ذلك.

قنوت النوازل النبي ﷺ قنت وترك، قنت لما قتل القراء كما هو معروف بعد بئر معونة بعد غزوة ذات الرقاع، وترك القنوت في عدد من المصائب التي مرت بهم والنوازل ومن أكبرها غزوة مؤتة، من قتل في مؤتة قتل جعفر بن أبي طالب وقتل عبد الله بن رواحة، ورجع المسلمون والقتلى فيهم كثير وهم من خيرة الصحابة رضوان الله عليهم ومن قرابة النبي ﷺ، فلم يقنت النبي ﷺ لنازلة مؤتة وهي كانت بعدها سنة ثمان أو نحوها وقت مرة، لهذا قال العلماء القنوت السنة فيه أن يُقنت ويُترك. هذه مسألة.

المسألة الثانية أن النبي ﷺ لما قنت لم يأمر مساجد المدينة بالقنوت قنوت النازلة، وإنما قنت هو

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في مسجده، وأما مسجد قباء ومسجد بني بريد ومسجد العالية فلم يأت فيها خبر بإسناد ولا حسن ولم أر حتى ضعيفا أن النبي ﷺ أمر جميع المساجد بالقنوت، وإنما قنت هو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شهرا، وهذا استدل به عليه عدد من الأئمة منهم الإمام أحمد: أنه إنما يقنت الإمام الأعظم في المسجد الأعظم.

ما يقنت كل مسجد هذا ظاهر السنة؛ لأن لو كانت السنة أن كل المساجد تقنت لقال النبي ﷺ للمساجد تقنت.

ونحن نعلكم الناس السنة والبدعة أيضا أن ما تركه النبي ﷺ السنة أن نتركه، النبي ﷺ لما لم يأمر الناس أن يقنتوا فإنه يظهر من السنة أنه لا تقنت جميع المساجد.

فإذن دل هذا على أنه إذا جاءت الفتوى بالقنوت والسنة كما ذكرت لكم أن يقنت ويترك إذا جاءت الفتوى بالقنوت، فعندي أن السنة ظاهرة في أنه لا يقنت في البلد الواحد إلا مسجد واحد فقط، وهو المسجد الأعظم في البلد، وهذه السنة في هذه المسألة.

المسألة الثالثة التي ينبغي أن ننبه عليها، ما قاله عدد كبير من العلماء وإن كان هذا يحتاج إلى فتوى شرعية: من أن الصحابة رضوان الله عليهم في هديهم أنه ليس مفهوم قنوت النازلة وعندهم وفقههم فقهاء السلف في قنوت النازلة أنه وقعت نازلة في طرف من بلاد المسلمين قنت الجميع، النبي ﷺ قنت في ذات الرقاع ليس وقت المعركة، وإنما لما جاء الخبر بعد إن انتهت المعركة وبعد أن قتل القراء قنت يدعو على فلان.

والصحابة رضوان الله عليهم لم يكن من هديهم إذا وقعت نازلة في طرف بلاد المسلمين قنت جميع المسلمين، ولهذا قال جمع من أهل العلم: إن القنوت - هذه تحتاج إلى فتوى شرعية واجتهاد لكن من تمام بحث المسألة - أن قنوت النوازل لكل أهل بلد بحسبهم، النازلة بحسبها وهذا يحتاج إلى فقه. وهذا يا إخوان يجب أن يتنبه إليه الجميع وأن تنشروا في الناس أن السنة ليست هي بقوة الغيرة، ليست هي أنه كلما كان الإنسان أكثر اندفاعا وغيرة وحماسا معناه أنه هو الذي يطبق السنة.

نعم أنا مثل يعلم الكثير في هذه المسألة نالني منها أذى متنوع، وبعض الناس قال كذا؛ لكن هذا لا يهم لأنه لا بد أن يعرف الناس السنة، لو جاملنا ومشت المسألة في شيء يدخل تحت ولايتي الشرعية لتدرج الناس على الأمر، إذا حصل أي مشكلة خلاص السنة القنوت السنة القنوت، وعندئذ بعد سنوات تخفى السنة، ويصبح الذي خالفها قد خالف السنة، وهو ربما يكون الرجوع إلى السنة بعد سنين أصعب وأصعب.

فهذه المسألة لعلها تكون واضحة؛ يعني يعلم الإخوان ربما في الوزارة وأنا حدثكم بحديث واضح بدون حواجز، أننا نحرص تماما على أنه ما يأتي ويؤمر الأئمة خاصة من عندي أن يكون على وفق أعلم

أنه صواب شرعا، قد يكون اجتهادي يخالف اجتهاد آخرين، هذه مسألة أخرى؛ لكنه يكون عندي أنه هو الصواب شرعا، وأما إذا كنا نأخذ باجتهادات كل إمام مسجد واجتهاداته وكل طالب علم واجتهاداته أظن أن المسألة تخرج عن الطوق وتطول.

وفي الختام حتى يعني نحقق ما قلنا ندعو لإخواننا المسلمين في الشيشان وجميع المسلمين بأن ينصرهم الله جل جلاله.

اللَّهُمَّ نسألك بأسمائك الحسنی وصفاتك العلی وباسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت أن تنصر إخواننا المؤمنين في الشيشان، وأن تقويهم على عدونا وعدوهم، اللَّهُمَّ سدد رميهم، اللَّهُمَّ سدد رميهم، اللَّهُمَّ آلف بين قلوبهم وقوي شوكتهم وأمددهم بمدد من عندك، إنك أنت الوهاب، اللَّهُمَّ عليك بالروس الملاحدة الظالمين.

اللَّهُمَّ عليك بالروس الملاحدة الظالمين، اللَّهُمَّ فرق جمعهم وشتت شملهم، اللَّهُمَّ واجعل الدائرة تدور عليهم، اللَّهُمَّ إنا نبرأ بك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم، اللَّهُمَّ إنك نصرت عبادك الصالحين وأيدهم ونصرتهم على عدوك وعدوهم اللَّهُمَّ كما نصرت الأولين فانصر إخواننا هناك عاجلا غير آجل وآلف بين قلوب الجميع، واجعلنا من الدعاة إلى دينك، ومن المجاهدين في سبيلك بما نستطيع إنك جواد كريم.

اللَّهُمَّ نسألك أن تنصر المؤمنين في كل مكان، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في كل مكان، اللَّهُمَّ انصر المجاهدين في فلسطين وفي الشيشان وفي كشمير وفي أندونيسيا وفي أي بلد ترفع في راية الإسلام إنك جواد كريم.

اللَّهُمَّ إنا نسألك بأسمائك وصفاتك ألا تجعل حظنا من دعائنا الرد، اللَّهُمَّ أجب دعاءنا وسولنا، واجعلنا مخلصين لك صادقين في أقوالنا وأعمالنا إنك على كل شيء قدير.

وصلی الله وسلم وبارك على نبينا محمد

